المسلم بين" الإيمان والتفكر"

الجمعة 23 سبتمبر 2016 02:09 م

قال تعالى"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53 فُصلت).

لقد أقام الله الحجة على خلقه من خلال آياته التي هي في الكون الواسع الأرجاء المترامي الأطراف ومن خلال كتبه ورسله فكان على الإنسان أن يلتمس الحق وأن يسلك الطريق إلى الحقيقة والى نهجها الذي يؤدي إلى إليها وهو صدق القصد إلى الخالق لذلك فالباحث عن الحقيقة بصدق يصل إلى الحق وهذا الذي ميز الخليل إبراهيم عليه السلام ، صاحب القلب السليم عن غيرة حيث عاش ولم يسجد لصنم قط عاش يبحث عن الحقيقة ولعلم الله بصفاء قلبه ونقاءه ،أراه الله ملكوت السموات والأرض (وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين)(75 الأنعام). فاهتدى.

وبرغم ذلك استمر في البحث ليزداد الإيمان ويرسخ والله يعلم صدقه قال تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)(البقرة:260) فما شك الخليل لحظه ولكن ليطمأن قلبه السليم وحبه العميق لينتقل بنفسه من علم اليقين إلي عين اليقين بالرؤية وليزدد إيمانا وصولا إلى حق اليقين،لأن الإيمان يحتاج إلى إيمان "يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله"(136 النساء). فأراه الله معجزة أحياء الموتى كما نقرأ في سورة البقرة هكذا عاش نبي الله إبراهيم يبحث عن الحق ليأخذ بيد الناس إليه، وهكذا عاش ولده من نسله نبينا محمد صلي الله عليه وسلم قبل بعثته ،مضي علي هذا الإرث

إرث جدة إبراهيم .فلم يسجد لصنم قط فكان محمد صلي الله عليه وسلم يُبحرُ في الكون بقلبه وبنظرة في غار حراء . يبحث عن الحقيقة فأرشده الله إليها بأن جاءه الروح الأمين جبريل عليه السلام وقال له اقرأ فيقول ما أنا بقارئ اقرأ اقرأ فيقول ما أنا بقارئ نعم كان أمي لا يقرأ لكنه صلى الله عليه وسلم كان أعلم من في الأرض في ذاك الزمان فكان يقرأ بقلبه وتنازعه فطرته السليمة ويبحث عن الحق فالقلب معلق بالسماء ومطمأن بشيء ما، سكن ووقر فيه، بأن لهذا الكون خالق مدبر إله واحد معبود فجاءه الأمر بأن يقرأ بلسانه كما كان يقرأ بقلبه فنطق لسانه بما استقر في قلبه الطاهر وهكذا ظل صلى الله عليه وسلم يقرأ بقلبه ويحفر في قلوب الصحابة أمرا عظيما أن السير الحقيقي إلي الله بالقلوب ليس بالأبدان فحسب ففي الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم (وأعمالكم) رواه مسلم وكان صلي الله عليه وسلم أطهر القلوب علي الإطلاق عندئذ فبعثه الله رحمه للعالمين بخير رسالة وبخير كتاب أُنزل ولخير أُمه أُخرجت للناس ولقد عاش صاحبه أبو بكر الصديق باحثا عن الحقيقة مثل خليله ونبيه محمد صلي الله عليه وسلم وهكذا كان سلمان الفارسي الملقب بالباحث عن الحقيقة بحث عنها بحق فوصل إليها وكل من يبحث عن الحقيقة بصدق سيهديه الله إليها عندئذ يكون صاحب هذا القلب السليم رحمه لنفسه ولمن حوله لقد أدركها قلب الأعرابي وهو يمشى على رمال الصحراء دون أن يركب الفضاء فنطق بلسان الفطرة عندما سُئل عن دليل وجود الله ؟ فقال: البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على العليم الخبير

فهل وصل أهل العلم المادي بعد أن اخترقوا الفضاء وأدركوا الحقيقة؟ للأسف لا . لأنهم يتعلمون العلم تحدياً لذلك سموا مركبه الفضاء بـ"التحدي-challenger" فانفجرت في السماء، فكان ما كان منهم من ظلم وفساد في الأرض حين فصلوا الشرع عن الكون والعلم عن الإيمان . إن إنسان العصر يشتكي مما يقع له من قتل وتنكيل وفقر ممن سخروا العلم للمادة وفقط لا للروح . لذلك قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة أولئك قال الله عنهم "يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون" إن هذا الكون وحدة متكاملة تسير في نسق واحد وهذا يدل على وحدانية الخالق سبحانه ، فلو

كان للكون آلهً أخرى لأدى ذلك إلى التنازع والاختلاف والتنافر فيما بينهم ولفسدت السموات والأرض فكان على البشرية أن تقتبس هذا التناغم وتعيش به لتنعم بخالقها ورد في الأثر(لولا أن الشياطين يحومون علي قلوب بني ادم لنظروا إلي ملكوت السموات)(الحديث مرفوع وفيه ضعف ذكره أبو حامد الغزالي في عجائب القلب) لذلك فالأرض تشتاق إلى المسلم الحق ليحيها من جديد في ظل هذا الموات وينشر فيها العدل والقيم التي عاش بها سلفهم من قبل ، وربطوا بين العلم والإيمان وبين القول والعمل وبين قراءة الشرع وقراءة الكون فلا فصل بينهما أبدا ، وبذلك يعالج الخلل ويقام المعوج وتسود امة الإسلام كما كانت وبها تعود الخيرية في الأرض . إ فهل تطهر قلوبنا من الغل والحسد والكبر والخصومة والرياء ونتحلى بالعلم والإيمان ولنكون أمه واحدة خير أمه أخرجت للناس لتأخذ بيد العالم إلى الهدى والرشاد وهذا هو الشاهد فمن مات قلبه قبل جسده فقد هلك لقد وصلت إلينا الحقيقة "الإسلام" غضه طريه دون مشقه ودون جهد فاللهم طهر قلوبنا من أمراضها الخفية لنعيش للحق بالحق "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ".

م احمد المحمدي المغاوري باحث في الدراسات الإسلامية